

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُوَّةُ الشَّخْصِيَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَتَبَ الْعِزَّةَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَرَ بِالْعَزْمِ أَوْلِيَاءَهُ الْمُتَّقِينَ، الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ: ﴿فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١)، وَأَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْكَرَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ التَّقْلُبَ فِي مَوَاقِفِهِمْ، وَالْمُدَاهَنَةَ فِي تَصْرُّفَاتِهِمْ، وَأَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، حَتَّى أُمَّتُهُ عَلَى الْاسْتِقْلَالِ فِي الْأَرَاءِ وَالْمَوَاقِفِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى مَهْمَا عَظُّمَتِ الْمَخَاوِفُ، ﷺ وَعَلَى اللَّهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْأَصَالَةِ وَالثَّباتِ، وَأَرَوْعَ الْأَمْتَلَةَ فِي تَأْكِيدِ الذَّاتِ، وَعَلَى مَنْ تَبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْحَرْصِ عَلَى مَا يُقْرِبُكُمْ مِنْ عَفْوِهِ وَرِضَاهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٢)، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ قُوَّةَ الشَّخْصِيَّةِ تُتَّجِّعُ الْأَتْرَانَ فِي مَوَاقِفِ الْحَيَاةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهُوَ عُنْوَانُ النَّفْسِ الْوَاثِقَةُ الْأَبِيَّةُ، فَلَا تَهْتَزُّ عَنْدَ الْخُطُوبِ، وَلَا تَنِسُّ عَنْدَ الْأَزْمَاتِ وَالْكُرُوبِ، وَذَلِكَ دَلِيلُ الإِيمَانِ، وَنَقَاءُ مَعْدِنِ الْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَلَا خُشُونَهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ﴾^(٣)، إِنَّهُ ثَقَةٌ وَعَزْمٌ وَإِباءٌ، وَتَوْكُلٌ وَإِقْدَامٌ وَمَضَاءٌ، وَهَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ هِيَ الْقَادِرَةُ عَلَى الْإِنْتَاجِ، الْمُتَمَكِّنَةُ مِنَ الْمُضِيِّ فِي أَقْوَمِ مَنْهَاجٍ، وَهِيَ بِذَلِكَ تَقْرَبُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَتَنْظَرُ بِرَحْمَتِهِ وَرِضَاهُ، فَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْضَّعِيفِ)), إِنَّهُ الْقَوِيُّ فِي أَرَائِهِ، الْحَكِيمُ فِي تَعَالِيهِ مَعَ أُسْرَتِهِ وَأَقْرَبَائِهِ، الْمُتَرَّنُ فِي عَالَقَتِهِ مَعَ مُجْتَمِعِهِ وَزُمَلَائِهِ، لَا يُقْرَرُ وَفَقَ إِرَادَةُ غَيْرِهِ وَإِمْلَائِهِ، هَذِهِ هِيَ شَخْصِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ، الَّتِي صَاغَهَا لَهُمْ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ حِينَ قَالَ: ((لَا تَكُونُوا إِمَّةً؛ تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَأُوا فَلَا تَظْلِمُوا))، أَمَّا الْإِسْتِكَانَةُ وَالْهَوَانُ،

(١) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب / ٧٠ .

(٣) سورة آل عمران / ١٧٣ .

فَهُمَا مِنْ شَأْنِ الْضُّعْفَاءِ الْمَحْرُومِينَ مِنْ مَعِيَّةِ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ، وَقَدْ نَهَانَا الْمَوْلَى عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَخْرُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).
إِيَّاهَا النَّاسُ:

إِنَّ الْمُسْلِمَ أَصْبَلُ فِي رَأْيِهِ، حَازِمٌ فِي مَوَاقِفِهِ، وَهَذَا مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ ﷺ فِي صَادِقِ خَطَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَنِيَحْيَى حُذْلُوكَ الْكِتَابَ بِقُوَّةِ﴾^(٢)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿حُذْلُوكَ مَا أَتَيْنَتُكُمْ بِقُوَّةِ وَأَذْكَرُوكُمْ مَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَنْقُونَ﴾^(٣)، وَتَتَمَيَّزُ الشَّخْصِيَّةُ الْقَوِيَّةُ بِالْأَصَالَةِ فِي رَأْيِهَا، فَهِيَ نُقَرِّرُ بَعْدَمَا تَنْتَظِرُ وَتَتَمَلَّ، وَتَتَنَانِي فِي قَرَارِهَا وَلَا تَتَعَجَّلُ، حَتَّى إِذَا رَأَتِ الصَّوَابَ؛ ثَبَّتَتْ عَلَيْهِ وَتَمَسَّكَتْ، لَا تَعْدِلُ عَنْهُ حَتَّى يَطْرُأَ عَلَيْهِ مَا يُحِيلُهُ مِنْ صَوَابٍ إِلَى غَلَطٍ، بَعِيدًا عَنِ الْاِنْفِعَالِ وَالشَّطَطِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الْضَّلَالُ﴾^(٤)، أَمَّا نَقْضُ الْمَوَاقِفِ وَالآرَاءِ، مُجَامِلَةً لِأَهْلٍ أَوْ أَصْدِقاءَ، أَوْ مُسَايِرَةً لِرِفْقَةٍ أَوْ زُمَلاءَ، فَإِنَّهُ سُلُوكٌ خَاطِئٌ نَهَانَا اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَثَهَا﴾^(٥)، وَالشَّخْصِيَّةُ الْأَصْبَلَةُ لَا تُرْهِبُهَا الْقِلَّةُ بَعْدَ الْيَقِينِ، وَلَا تَتَرَاجُعُ حِينَ يَتَبَّنِي الْبَاطِلُ جَمْعُ الْأَكْثَرِينَ؛ لَأَنَّهَا تُؤْمِنُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُقَاسُ بِالْقِلَّةِ وَالكُثْرَةِ، وَلَا بِالْإِرْجَافِ وَالشُّهْرَةِ، وَإِنَّمَا يُقَاسُ بِمَوَازِينِهِ، وَيُوزَنُ بِمَبَادِئِهِ وَقَوَاعِدِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)، فَيَا مَنْ تَسْعَى لِلتَّمْكِيدِ وَالْإِرْشَادِ وَالْبَنَاءِ: لَا تَهُولْنَكَ كَثْرَةُ السُّفَهَاءِ، وَلَكَ مِثْلُ فِيمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالْأَتْقِيَاءِ، فَانْظُرْ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ حِينَ قَالَتْ: ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَيَنْهِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، وَيَنْهِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٧)، أَتْرَاهَا ثَبَّتْ عَلَى الْحَقِّ بِقُوَّتِهَا؟ أَمْ عَصَتْ بِالنُّوَاجِذِ عَلَيْهِ لِكْرَةَ رَهْطِهَا؟ كَلَّا، بَلْ بِالْأَصَالَةِ

(١) سورة آل عمران / ١٣٩ .

(٢) سورة مريم / ١٢ .

(٣) سورة الأعراف / ١٧١ .

(٤) سورة يونس / ٣٢ .

(٥) سورة النحل / ٩٢ .

(٦) سورة يوسف / ١٠٣ .

(٧) سورة التحريم / ١١ .

فِي الْأَرَاءِ وَالْمَوَاقِفِ، دُونَ التِّقَاتِ إِلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْمَخَوِفِ، وَانْظُرْ إِلَى شُعْبِ خَطِيبِ
الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ يُخَاطِبُ جُمُوعَ السُّفَهَاءِ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفُكُمْ إِلَى مَا
أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِلَصْحَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(١).
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ احْتِقَارِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ، وَضَعْفِ شَخْصِيَّتِهِ أَنْ يَتَّبِعَ كُلَّ نَاعِقِ،
وَيَسْتَجِيبَ لِكُلِّ نَاطِقِ، مُذَلِّلاً عَلَى أَنَّهُ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ وَاثِقٍ، يَجْرِي وَرَاءَ كُلِّ جَدِيدٍ، مِنْ
غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الْمُنْكَرِ وَالسَّدِيدِ، وَلَذَا حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى تَرْسِيخِ قِيمِ الْاسْتِقْلَالِ فِي
السُّلُوكِ وَالْفِكْرِ، وَقَرَنَ التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى بِالتَّبَعِيَّةِ لِلْكُفُرِ؛ إِمْعَانًا فِي إِعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ، بِأَنَّ
اسْتِقْلَالِيَّتَهُمْ مَبْدِأً مِنْ مَبَادِئِ الدِّينِ، كَيْفَ لَا؟ وَالْمُتَّأْمِلُ لِكِتَابِ اللَّهِ يَجِدُ ذَمَّ التَّذَبْذُبِ
بِاعْتِبَارِهِ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُذَدَّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوْلَاءِ وَلَا إِلَى هَوْلَاءِ
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَمْهَدَ لَهُ سِيرًا﴾^(٢).
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ لُقْوَةَ الشَّخْصِيَّةِ فَوَائِدَ لِلْفَرْدِ وَالْمُجَمَّعِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، فَالْمُؤْمِنُ يَمْضِي فِي الْحَيَاةِ
رَاسِخَ الْقَدْمِ ثَابِتَ الْخَطْوَةِ، تَتَسَمُّ أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ بِالْإِجَادَةِ وَالْقُوَّةِ؛ لَأَنَّهُ يَبْيَنِي مَوَاقِفُهُ عَلَى
الْمَشْوَرَةِ وَالْدَّلِيلِ، ثُمَّ يَمْضِي غَيْرَ مُلْتَقِتٍ إِلَى التَّهْوِيلِ، وَلَا مُكْتَرِثٌ لِلنَّدْعَةِ الْعَلِيلِ، قَدْ رَسَمَ اللَّهُ
لَهُ مَنْهَاجَ حَيَاتِهِ، بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ، حِينَ قَالَ وَهُوَ أَصْدِقُ الْقَائلِينَ: ﴿فِيمَا
رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّاغِيَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣)، فَالْمُؤْمِنُ هَيْنَ لَيْنَ مَعَ أَخْذِهِ بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ، لِذَلِكَ
يَجِدُهُ مُنْجِزاً لِأَهْدَافِهِ وَغَايَاتِهِ، مُحَقِّقاً بِعُونِ اللَّهِ لِطُمُوحِهِ وَتَطْلُعَاتِهِ، يَمْضِي عَلَى نُورٍ مِنْ
رَبِّهِ، مُهْتَدِيًّا بِهِ فِي دَرْبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهَدَيْنَاهُمْ سُبُّلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤)، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُطْمَئِنٌ لَا يَقْلُقُ، وَلَا يَنْزَعِجُ حَتَّى إِنْ هَدَفُهُ لَمْ يَتَحَقَّقُ؛ لَأَنَّهُ

(١) سورة هود / ٨٨

(٢) سورة النساء / ١٤٣

(٣) سورة آل عمران / ١٥٩

(٤) سورة العنكبوت / ٦٩

يُؤْمِنُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّاتُمْ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَخَذَ مِنْكُمْ شَهِدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) ، وَأَمَّا ضَعِيفُ الشَّخْصِيَّةِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ قَلْقًا مُضطَرِّبًا، مُتَرَدِّدًا نَاكِصًا مُتَذَبِّدًا، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُمِينُ ﴾^(٢) ، إِنَّ الْمُجَمَّعَ الَّذِي يَجْمَعُ عَلَى أَرْضِهِ أُنَاسًا أَقْوَيَاءَ فِي شَخْصِيَّاتِهِمْ، مُجَمَّعٌ هَنِيءٌ سَعِيدٌ، وَالْخَيْرُ فِيهِ مُتَصِّلٌ مَدِيدٌ، لَمْ لَا؟ وَكُلُّ فَرْدٍ فِيهِ مُشْتَغَلٌ بِوَاجْبَاتِهِ، مُنَافِسٌ بِشَرَفِ فِي إِنْجَازَاتِهِ، يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ الْحَقِّ تَعَالَى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمَثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِيعٌ أَخْرَجَ شَطْعَهُ، فَعَزَّرَهُ، فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ، يَعِجبُ الْزَّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٣) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

إِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي التَّتْبُهُ لَهُ، الْفَرْقَ بَيْنَ الْغُرُورِ وَقُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، لَأَنَّ الْغُرُورَ صِفَةٌ مِنْ أَذْنِ الصِّفَاتِ، فَالْمَغْرُورُ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ مُتَكَبِّرٌ، مُتَسْلِطٌ مُتَهَوِّرٌ، يَرْفُضُ الْحَقَّ وَإِنْ عَلَيْهِ وَجَبَ، وَيَنْفَعِلُ بِسُرْعَةٍ لِأَنْفَهِ سَبَبٍ، كَمَا حَدَثَ مِنْ إِبْلِيسَ حِينَ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ السُّجُودَ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا سَجَدْتُ لِمَنْ خَلَقَتْ طِينًا ﴾^(٤) ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ شِعَارَهُ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْمَوْلَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٥) ، وَالْمَغْرُورُ يَنْظُرُ إِلَى الْفَائِلِ قَبْلَ النَّظَرِ إِلَى الْقَوْلِ، يَقِيسُ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقَ اللَّهُ أَخْذَتْهُ الْعِرَةُ بِالْإِلَاثِ فَحَسِبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾^(٦) ، فَالْمَغْرُورُ يَعْتَمِدُ عَلَى هَوَاهُ وَوَسْوَاسَةِ الشَّيْطَانِ، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَتَّخِذُ مَوَاقِفَهُ بِالدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. وَمَنْ مَظَاهِرِ قُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، الدَّالَّةُ عَلَى السَّرِيرَةِ النَّقِيَّةِ، وَالنَّفْسُ الْمُتَوَاضِعَةُ

(١) سورة آل عمران / ١٤٠ .

(٢) سورة الحج / ١١ .

(٣) سورة الفتح / ٢٩ .

(٤) سورة الإسراء / ٦١ .

(٥) سورة النور / ٥١ .

(٦) سورة البقرة / ٢٠٥-٢٠٦ .

الأَبِيَّةُ، مُبَادِرَةُ الْمَرْءِ إِلَى تَقْدِيمِ عُذْرٍ، عَنِ الْخَطَا أَوِ التَّقْصِيرِ فِي حَقٍّ غَيْرِهِ، وَسَعَةُ الصَّدْرِ لِلْعِتَابِ، مِنَ النَّاصِحِينَ وَصَالِحِ الْأَصْحَابِ، مَعَ اسْتِعْدَادِهِ لِقِبْوَلِ الْعُذْرِ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ؛ طَمِعاً فِي مَرْضَاتِ رَبِّهِ، وَهَذَا سُلُوكُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَنْهُجُ الْبَرَّةِ الْمُتَقِّيَّينَ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِخْرَاجِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا تَالَّهِ لَقَدْ مَاءَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ، قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرَحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَقَوُّوا شَخْصِيَّاتِكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَجَمِلُوهَا بِتَوَاضُعِ الْمُجِيدِينَ، وَاقْبِلُوا نُصْحَ الْمُرْشِدِينَ، وَعُذْرَ الْمُعْتَذَرِينَ؛ تَعِيشُوا حَيَاةَ الْمُطْمَئِنِينَ، وَتَدْخُلُوا جَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ آمِنِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي امْتِنَالِ أَمْرِهِ الْقُوَّةَ وَالْطَّمَانِيَّةَ، وَالثَّبَاتَ وَالسَّكِينَةَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ مُتَمَّمًا لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَقَاضِيَا عَلَى أَسْبَابِ التَّخْلُفِ وَالشَّقَاقِ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ لِضَعْفِ الشَّخْصِيَّةِ أَسْبَابًا عَالِجَهَا الإِسْلَامُ بِتَشْرِيعَاتِ حَكِيمَةٍ، وَأَسَالِيبَ تَرْبُويَّةٍ قَوِيمَةٍ، وَمَنْ أَهْمَمْ تِلْكَ الأَسْبَابِ تَسْلُطُ الْآبَاءِ الْغَاشِيمُ، وَكَبْتُهُمُ الظَّالِمُ، بِالتَّضْييقِ عَلَى إِبْدَاعِ الْأَبْنَاءِ، وَعَدَمِ تَعْزِيزِ طُمُوحِ النُّجَباءِ، وَالْمُتَأْمِلِ لِعَلَاقَةِ الْآبَاءِ بِأَبْنَائِهِمْ كَمَا يَرْسُمُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَبَيَّنَهَا رَسُولُنَا - عَلَيْهِ أَفْضُلُ الصَّلَاةِ وَالْتَّسْلِيمِ -، يَجِدُ أَسْلُوبًا رَائِعًا لِلْمُرْبِّيَّنَ، مَنِ امْتَلَأَهُ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَانْظُرْ - يَا رَعَاكَ اللَّهُ - إِلَى حَوَارِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَتَبَّعَنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظَرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَبَّعَ أَفْعَلَ مَا ثُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْصَّابِرِينَ^(٢)، إِنَّ هَذَا

(١) سورة يوسف / ٩٢-٩١.

(٢) سورة الصافات / ١٠٢.



الأسلوب الرأقي في الحوار أنتخ في اسماعيل - عليه السلام - شخصية قوية، ثم انظر إلى يعقوب - عليه السلام - وهو يخاطب بنيه ﴿أَمْ كُنْتُمْ شَهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَءَا بَابِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحْدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، إن هذين الحوارين يدلان دلالة واضحة كيف عاش إبراهيم ويعقوب عليهما السلام - مع أبنائهما، ألا نقتدي بهما، ونهنّدي برسديهما؟! ومما يضعف شخصية الإنسان سوء التفكير الناجم عن ضعف الإيمان، وقد عالج الإسلام ذلك بدعوه إلى التقوى التي تحرر فكر الإنسان وتهديه إلى نير الأفكار ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْقُوا اللَّهَ بِجَعْلِ لَكُمْ فُوقَانَا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٢)، نعم، يجعل لهم نوراً يفرّقون به بين الصحيح والسيقim، فيهتدون إلى صحيح الأفكار، ويسلمون من المزّاق والأخطار. وما يضعف الشخصية، القيم السيقim، بعيدة عن التعاليم الإسلامية القوية، هذه العادات التي تحجر العقول، وتجعل تابعها كالمقعد المغلول، وقد حذرنا الله من اتباع ما فسد من المؤروثات، والسيئ من العادات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ وَأَشَهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ نَقُولُوا إِنَّا أَشْرَكَءَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِ وَكُنَّا ذُرِّيَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهُمْ لَكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ﴾^(٣).

فانتقوا الله - عباد الله -، وابتعدوا عما يضعف شخصياتكم؛ تسعدوا في حياتكم، وتهنّوا بالجنة بعد مماتكم.

هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقائد الغر المجلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلاوة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَكُوتَهُ يُصْلِلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤).

الله صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت

(١) سورة البقرة / ١٣٣ .

(٢) سورة الأنفال / ٢٩ .

(٣) سورة الأعراف / ١٧٣-١٧٢ .

(٤) سورة الأحزاب / ٥٦ .

عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضُ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُقِ الْرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعُلْ جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعُلْ تَقْرُفُنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقْرُفُهُمْ مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقْىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغَنِيَّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلَّاً مِنَ لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاسِعًا مُنْبِيًّا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. اللَّهُمَّ أَعْزِزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعُ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرُ شَوَّكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبُ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعُلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشَيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرْوُعَنَا وَكُلَّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.